

تأملات تحليلية في القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي

**Analytical Reflections on the Palestinian Cause and the
Arab–Israeli Conflict**

د. أنس بوسلام

حاصل على درجة الدكتوراه جامعة الحسن الثاني

تاريخ تحكيم البحث:

14/08/2025

تاريخ استلام البحث:

29/07/2025

المخلص

يتناول البحث بالدراسة والتحليل والنقد القضية الفلسطينية منذ جذورها الأولى أواخر القرن 19 ومطلع القرن 20، مروراً بأهم محطات الصراع العربي الإسرائيلي منذ أواسط القرن 20 إلى غاية عملية طوفان الأقصى سنة 2023 وتداعياتها، ثم يختم البحث محاوره بتقديم مجموعة من الاستراتيجيات والبدائل. وقد تم الاستناد في هذا كله إلى المنهج التحليلي فضلاً عن المنهج التاريخي.

الكلمات المفتاحية: القضية الفلسطينية، الاحتلال الإسرائيلي، الصراع العربي الإسرائيلي، التطبيع.

Abstract

This research examines, analyzes, and critiques the Palestinian cause, tracing its roots back to the late 19th and early 20th centuries. It then explores the main milestones of the Arab–Israeli conflict from the mid–20th century up to the “Al–Aqsa Flood” operation in 2023 and its repercussions. The study concludes by presenting a set of strategies and alternatives. The research relies on both the analytical method and the historical method.

Keywords: Palestinian cause, Israeli occupation, Arab–Israeli conflict, normalization.

مقدمة

أ- إشكالية البحث وفرضياته:

- إشكالية البحث وأسئلته:

تتمحور الإشكالية حول التساؤل المركزي التالي: إلى أي حد يمكن اعتبار الأخطاء التاريخية المرتكبة في تاريخ القضية الفلسطينية وتدبير الصراع العربي الصهيوني أخطاء بنيوية ترتبط بمجموعة من العناصر، كالقيادات، والأنظمة الحاكمة، والشعوب العربية، والنخب المثقفة، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والحضارية لهذه الشعوب، والتوازنات والعلاقات الدولية...؟

وهي الإشكالية التي تتولد عنها مجموعة من الأسئلة الفرعية مثل: كيف دبّر الفلسطينيون والعرب قضيتهم الأولى منذ بداياتها أواخر القرن 19 وبداية القرن 20 إلى يومنا هذا؟ وما الأخطاء التاريخية التي ارتكبت في هذا الشأن؟ وهل كان من الممكن تلافيتها؟ وما الاستراتيجيات والسياسات والبدائل التي يمكن للعرب والمسلمين الأخذ بها مستقبلاً؟

- فرضيات البحث: تتجلى هذه الفرضيات فيما يلي:

- كانت الأخطاء التاريخية المرتكبة في تاريخ القضية الفلسطينية وتدبير الصراع العربي الصهيوني أخطاء ترتبط ببنية عربية قائمة تحضر فيها مجموعة من العناصر، من بينها القيادات، والأنظمة الحاكمة، والنخب المثقفة، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والحضارية لهذه الشعوب، والتوازنات والعلاقات الدولية وما لها من تأثير...، ولا يمكن نسب هذه الأخطاء إلى عنصر دون إغفال العناصر الأخرى.

- مازالت هناك إمكانية للاستدراك على الأخطاء التاريخية التي ارتكبت في مسار القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني إذا ما وعى العرب والمسلمون هذه الأخطاء، وبنوا استراتيجيات وبدائل تقوم على تلافي الأخطاء المذكورة، واستلهاهم نقط الضوء وتجارب النجاح - على قلتها - في مسار هذه القضية وذاك الصراع.

ب- المنهج البحثي:

تم الاعتماد في البحث على المنهج التحليلي المرتكز على تقسيم الظواهر أو المشكلات البحثية إلى العناصر الأولية التي تُكوّنُها؛ لتسهيل عملية الدراسة والوصول إلى نتائج تتسم بأكبر قدر من العلمية والصدق، إضافة إلى الانطلاق من الجزئيات والتفاصيل ومحاولة جمعها، ثم معالجتها بالوصف والتحليل والتفسير والمقارنة من أجل الخروج بمجموعة من الخلاصات.

كما تم الانفتاح على الطروحات النظرية المتعلقة بالدراسات الاستراتيجية والعلوم السياسية والمقاربات التاريخية المختلفة ذات الصلة بالموضوع.

ج- الإضافات البحثية على مستوى المعالجات والمقاربات أو النتائج:

يمكن الإشارة إلى أهم هذه الإضافات كما يأتي:

- تناول القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي من منظور موضوعي يروم إجراء نقد من الداخل والكشف عن الأخطاء المرتكبة في المسار التاريخي لهذه القضية وذاك الصراع.

- اعتماد المنهج التحليلي في مقارنة الموضوع والرامي إلى التأمل الشمولي في مسار القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي وتطوره ومآلاته أكثر من سرد الوقائع والأحداث.

- الانطلاق من الأخطاء التاريخية التي تم رصدها لتقديم مجموعة من الاستراتيجيات والبدائل.

1- مقاومة فلسطينية عفوية خلال المرحلة الممتدة ما بين 1897 - 1917 مقابل هجرة

صهيونية استراتيجية

كانت المقاومة الفلسطينية خلال الفترة الممتدة ما بين 1897 - 1917 مقاومة عفوية غير منظمة، كما أنها لم تتخذ الزخم الذي عرفته لاحقاً. ويفسر ذلك بعدة عوامل، من بينها عدم اتساح المخططات الصهيونية بشكل واضح لعموم الفلسطينيين، اللهم نخبه منهم ومن العرب أيضاً. ومقابل ذلك استمرت الهجرة الصهيونية نحو فلسطين بشكل ممنهج ومنظم كما هو مبين في الجدول الآتي:

جدول تطور نسبة ساكني فلسطين ما بين 1880 و1947¹

| اليهود % | العرب % | السنوات |
|----------|---------|---------|
| 06 | 94 | 1880 |
| 10 | 90 | 1917 |
| 11 | 89 | 1922 |
| 16,8 | 73 | 1931 |
| 29,7 | 70,3 | 1939 |
| 30 | 70 | 1940 |
| 30 | 70 | 1943 |
| 30,4 | 69,6 | 1944 |
| 31,4 | 68,6 | 1945 |

¹ - البديري، هند أمين، أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، مطابع الجامعة العربية، القاهرة، د. ت، ص 131.

ورغم ذلك؛ فقد عبّر الفلسطينيون عن رفضهم الواضح للهجرة الصهيونية، فقد أثار توافد يهود "الهجرة الثانية" مثلاً استياء الفلاحين الفلسطينيين الذين عبّروا في أكثر من مناسبة عن معارضتهم منذ اللحظة الأولى لوصول المستعمرين الصهاينة. ورافق الاستياء من قدوم المستعمرين اليهود موجة من الغضب على الملاكين الإقطاعيين الذين كانوا يجنون الأرباح من بيع الأراضي للصهاينة. ويبدو أنه بحلول نهاية عام 1909 أصبحت معارضة الهجرة الصهيونية موضوع الأحاديث الدائمة للناس. ولقد عبّرت عن ذلك الصحيفتان الفلسطينيتان الوحيدتان في ذلك الحين، الأصمعي والكرمل¹.

ولعبت الصحافة الفلسطينية عشية الحرب العالمية الأولى دوراً هاماً في التوعية بأخطار المشاريع والمخططات الصهيونية، وأمام استياء الحكومة من أن تتخذ أي إجراء ضد العدوان الصهيوني، بدأ شباب فلسطين يفكرون باللجوء إلى آخر الدواء - إلى القوة - ضد الصهيونية، وذلك في وقت كانوا فيه يعملون أيضاً على القيام ضد الأتراك لتحقيق الاستقلال للعرب².

2- الخلاف العربي التركي مطلع القرن 20

إذا كانت الإمبراطورية العثمانية قد أدت بسياستها التتريكية والعنصرية و"شبه الاستعمارية" أواخر القرن 19 ومطلع القرن 20 إلى احتقان عربي أدى إلى ثورة العرب بشبه الجزيرة العربية ضد الوجود التركي، فإن العرب - تحديداً القيادة العربية ممثلة في الشريف حسين بن علي أمير مكة - قد سمح وبسذاجة للقوى الإمبريالية - لاسيما بريطانيا - بالدخول على الخط واستغلال هذا الخلاف لتحقيق عدة أهداف بضرية واحدة، حيث استخدمت العرب والثورة العربية التي قامت سنة 1916 لضرب خصم من خصومها في الحرب العالمية

¹ - الكيالي، عبد الوهاب. تاريخ فلسطين الحديث. ط 10. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990، ص 48 - 49.

² - المصدر نفسه، ص 63.

الأولى (نقصد طبعاً الأتراك)، وفي الآن ذاته طرد الحكم التركي من المشرق العربي (شبه الجزيرة العربية والشام والعراق تحديداً)، وإفراغ الساحة للتدخل الاستعماري في هذا المجال، والأكثر من هذا؛ استخدام العرب أنفسهم لخدمة هذا المشروع وادخار القوة والموارد البشرية والإمكانات البريطانية. وقد ساهم هذا كله في إنجاح المشروع الصهيوني من خلال تسهيل احتلال بريطانيا لفلسطين وتقديمها على طبق من ذهب لتنفيذ الاستراتيجية الصهيونية.

وجدير بالذكر أن الخلافة العثمانية كان لها موقف مشرف في مواجهة المخططات الصهيونية بالمنطقة، حيث رفض - على سبيل المثال - السلطان عبد الحميد الثاني رفضاً قاطعاً أي مطلب يهودي للتنازل عن فلسطين¹.

3- قابلية العرب للمؤامرات الاستعمارية خلال النصف الأول من القرن 20

أثبتت التجارب التي خاضتها القيادات العربية مع القوى الإمبريالية خلال النصف الأول من القرن 20 قابلية هذه القيادات للمؤامرات الاستعمارية، دليل ذلك الشواهد التاريخية الآتية:

¹ - يُنظر مثلاً:

- حلاق، حسان. موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909، ط 2. بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1980، ص 302.

- الصلابي، علي. جهود السلطان عبد الحميد في التصدي للحركة الصهيونية. موقع الجزيرة نت، 2021/5/23، شوهد في 2025/03/11، في:

<https://www.aljazeera.net/blogs/2021/5/23/%D8%AC%D9%87%D9%88%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%B7%D8%A7%D9%86-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D9%8A%D8%AF-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D8%AF%D9%8A>

أ- رغبة الشريف حسين في أن يصبح ملكاً على دولة عربية جعلته يصدق الوعود الكاذبة التي قدمتها له الإدارة البريطانية¹ والتي استخدمته وأبناءه لإخراج النفوذ التركي في المشرق العربي، لتدخل هي محله بأهون الأسباب وأيسر الطرق متتكرة لأي تعهد أو وعد قدمته للشريف حسين.

ب- مشاركة جيش المستعمرة المصرية بقوات قُدرت بمئات الآلاف ضمن عملية القائد أنبي العسكرية لاحتلال فلسطين سنة 1917.

4- قراءة في حرب 1948 وأخطائها

تسمى - أيضاً - حرب النكبة، وهي أولى الحروب العربية الإسرائيلية، حدثت عقب إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وإعلان قيام إسرائيل. نشبت الحرب على أرض فلسطين بين كل من مصر والأردن والعراق وسوريا ولبنان واليمن والسودان ضد الميليشيات الصهيونية المسلحة في فلسطين، والتي تشكلت من الهاجاناه والأرجون والشتيرن والبلماخ والمتطوعين اليهود من خارج حدود الانتداب البريطاني على فلسطين. أودت الحرب بحياة آلاف الجنود من الطرفين، وانتهت بهزيمة العرب، فأطلقوا عليها حرب النكبة.

يمكن إجمال أهم الأخطاء التي ارتكبتها العرب في حرب 1948 كالآتي:

أ- إبطاء العرب في إعداد الجيوش وضعف التحشيد العربي للحرب: رغم توفر عدد من الدول العربية على جيوش نظامية فإن تفاعلها مع الأحداث كان بطيئاً، ويُفسر ذلك بعدة أسباب، منها افتقاد هذه الجيوش

¹ - تُنظر في هذا الشأن مراسلات الشريف حسين - مكماهون في الفترة ما بين 14 يوليوز 1915 إلى 10 مارس 1916. للاطلاع على هذه المراسلات يمكن الرجوع إلى: Palestine in Arabic، تم الولوج بتاريخ 2025/07/27، في: http://www.palestineinarabic.com/Docs/lett_talks/Sherief_Hussien_Sir_Henry_McMahon_Letter_A.pdf

للجهوزية، سواء من حيث التدريب أو جودة الأسلحة أو الذخيرة، إضافة إلى عرقلة بريطانيا تقدم الجيش المصري لفسح المجال للصهاينة للاستعداد.

ومن المفارقات التي عرفتتها هذه الحرب، أن الدول العربية المستقلة آنذاك والتي شاركت في هذه المواجهة وكان عددها 7 دول - كما ذكرنا - لم تستطع تعبئة إلا حوالي 21 ألف مقاتل، مقابل حوالي 100 ألف مقاتل حشده الصهاينة الذي لا يتجاوز تعدادهم الديمغرافي آنذاك بفلسطين 806 ألف نسمة.

ب- المبادرة الصهيونية بالحرب قبل الانسحاب البريطاني مقابل تأخر التدخل العسكري العربي (بعد الانسحاب البريطاني): عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول في اليوم الثامن من شهر فبراير 1948 اجتماعا في القاهرة، استمعت فيه إلى رئيس اللجنة العسكرية أمير اللواء الركن إسماعيل صفوت باشا، الذي أوضح خطورة الموقف العسكري في فلسطين، وطلب أن تسرع الحكومات العربية فتهيء القوات اللازمة للقتال.. ولكن الحكومات العربية لم تفعل شيئا مجديا يؤمن الوصول إلى الهدف المنشود¹.

ت- عدم استفادة العرب من قوة الحدود: في 8 فبراير 1948 شرع الإنكليز في تسريح قوة الحدود، تلك القوة التي أوجدوها في أوائل الاحتلال لحماية الحدود، وقد أسموها "قوة حدود شرق الأردن"، وكان عدد رجال هذه القوة 2925 معظمهم عرب فلسطينيون وسوريون ومصريون وسودانيون، لكن الهيئة العربية العليا اقتربت خطأ حينما لم تدمجهم بدعوى أنهم خونة ومارقون خدموا في الجيش البريطاني سابقا².

ث- عدم استفادة العرب من البولونيين: ذكر عارف العارف في كتابه "نكبة فلسطين" أن عددا كبيرا من البولونيين غادروا بلادهم بولونيا إثر احتلال الروس لها وتغلغل النفوذ الشيوعي فيها (1939). فنزل عدد

¹- العارف، عارف، نكبة فلسطين والفردوس المفقود: 1947 - 1952، الجزء الأول، دار الهدى، 1973، ص 100.

²- المصدر نفسه، ص 101.

كبير منهم في فلسطين ومصر ورفض معظمهم العودة إلى بلادهم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وعرض هؤلاء خدماتهم على البلاد العربية لينخرطوا في جيوشها، ولما رفضوا، عرضوا أنفسهم على اليهود، فوجدها هؤلاء فرصة سانحة، واستخدموا عددا كبيرا من ضباطهم وخبرائهم؛ الأمر الذي كان له أثره في مصير القتال بفلسطين¹.

ج- عدم التنظيم والتوظيف الجيد للمتطوعين والمبادرات الشعبية: حيث لم يستفد الجانب المصري من قوة الإخوان المسلمين المشاركة في الحرب، ولم يحسن دمجها في السياق العسكري لهذه المواجهة، والملاحظة نفسها تتسحب على جيش الإنقاذ والذي كان خليطا من السوريين (من دمشق وحمص وحماء وحلب) ومن العراقيين والفلسطينيين وقليل منهم دروز وأكراد وشراكسة²، ومن نتائج عدم التنظيم والتوظيف الجيد للمتطوعين والمبادرات الشعبية حادثة القائم مقام الشهيد أحمد عبد العزيز، حيث قُتل بالخطأ على يد قوات مصرية³.

ح- ضعف في القيادة والتنسيق وإدارة الحرب: اتفقت الدول العربية المشاركة في حرب فلسطين أن تشكل قيادة عامة عربية مشتركة ومؤلفة من سياسيين وعسكريين تشرف على إدارة الحرب وتنسيق الجهود العربية وإصدار الأوامر للجيوش المختلفة، لكن؛ وبالإضافة إلى الاستقالات التي عرفت هذه القيادة نتيجة عدم منحها ما يكفي من صلاحيات لممارسة مهامها، فإن الجيوش المشاركة في الحرب سواء المصرية أو الأردنية أو

¹ - المصدر نفسه، 101 - 102.

² - المصدر نفسه، ص 39.

³ - كان أحمد عبد العزيز أول ضابط مصري يطلب بنفسه إحالته للاستيداع، وتخلّى عن رتبته وامتيازاته من أجل الجهاد في سبيل الله على أرض فلسطين، ليشكل كتائب المجاهدين المتطوعين الفدائيين لإنقاذ فلسطين من أيدي اليهود. ويصبح قائدا لما يعرف بالقوات الخفيفة في حرب فلسطين. للتوسع في سيرة هذه الشخصية، يُنظر: حافظ، أبو الحجاج، البطل أحمد عبد العزيز، ملحمة للبطولة من الطفولة، 2006.

السورية أو اللبنانية أو العراقية لم تكن تكثر بأوامرها، وراح كل جيش من الجيوش يتلقى أوامره من مرجعه الأعلى في بلاده¹.

خ- مشكلة السلاح: جودته والخصائص فيه ومدى تدريب الجيوش العربية على بعض الأسلحة (دحض رواية الأسلحة الفاسدة): بما أن جميع الدول تقريبا المنتجة للسلاح في العالم كانت داعمة لإسرائيل، فقد وجد العرب صعوبة في شراء الأسلحة وقطع الغيار مما دفعهم للتعامل مع السوق السوداء والتي لا يمكن أن تضمن جودة أو صلاحية أسلحتها، ومن هنا راجت رواية الأسلحة الفاسدة، والتي أراد النظام الناصري من خلال تضخيمها، تحميل مسؤولية الهزيمة للنظام الملكي، لكن رئيس الأركان المصري الأسبق الفريق سعد الدين الشاذلي، وكان من المشاركين في حرب 1948 برتبة ملازم أول، صحح هذه الرواية، والذي لم ينف أن بعض الأسلحة كانت فاسدة، أكد أن المشكل الأساس تمثل في عدم تدريب القوات المصرية على هذه الأسلحة، ولهذا نجم عن جهلهم بالاستخدام الصحيح لها بعض الحوادث، مثل القنبلة اليدوية التي كان تدريبهم على توقيت محدد لانفجارها ففوجئوا باستخدام قنابل معدلة تنفجر في توقيت أقل².

د- الاستفادة الصهيونية من الاستيلاء على الأسلحة البريطانية: من الأحداث التاريخية المؤكدة لذلك نهب الصهاينة لأسلحة الجيش البريطاني بتاريخ 4 أبريل 1948³.

ذ- عدم استفادة العرب (خصوصا مصر والعراق) من عنصر الطيران: من أسباب عدم الاستفادة التدخل العسكري البريطاني لصالح الصهاينة، ففي الخامس عشر من ماي 1948 أغارت الطائرات المصرية على

¹ - العارف، عارف، نكبة فلسطين...، المرجع السابق، ص 109. ويُنظر التقرير الذي قدّمته لجنة التحقيق النيابية إلى البرلمان العراقي بتاريخ 4 شتبر 1949.

² - برنامج شاهد على العصر، الحلقة الأولى من شهادة الفريق سعد الدين الشاذلي، قناة الجزيرة، 1999/2/6، تم الولوج بتاريخ: 2025/7/28، في: <https://www.youtube.com/watch?v=q0S6gkoRX7s>

³ - نفسه، ص 146.

تل أبيب وأحدثت بعض الخسائر في العدو، وكذلك فعلت يوم 18 ماي، لكن حينما أغارت خمس طائرات مصرية على أهداف يهودية بتاريخ 22 ماي تصدّت لها الطائرات البريطانية وأسقطتها¹.

ر- **العامل الاستعماري:** لعبت بريطانيا دورا خطيرا لصالح الصهاينة، فباعتبارها - أي بريطانيا - تمثل سلطة الاستعمار بمصر وغيرها فقد منعت الزحف العربي نحو فلسطين حتى أتمت انسحابها يوم 14 ماي 1948، وهو ما مكّن مليشيات الهاغانا وشيتيرن والأرغون الصهيونية - أثناء ذلك - من المسارعة في احتلال المزيد من الأراضي قبل دخول القوات العربية.

ز- **تأخر الجيش العربي في زحفه صوب القدس:** مكّن هذا التأخر القوات الصهيونية من احتلال القدس الغربية، ورغم ذلك؛ فقد استنبل الجيش الأردني في الدفاع والحفاظ على الحكم العربي لأهم جزء في القدس ألا وهو القدس الشرقية الذي يحتوي معظم المقدسات الإسلامية والمسيحية².

- **تقييم لحرب 1948:** إن كان معظم الباحثين والدارسين يعتبرون أن حرب 1948 مثّلت هزيمة للعرب، فإن بعض الخبراء العسكريين الذين شاركوا فيها لهم تصور مغاير، ومن هؤلاء رئيس الأركان المصري الأسبق الفريق سعد الدين الشاذلي الذي رأى أن العرب قد حققوا نجاحا معقولا، لأنهم استطاعوا إرجاع جزء من الأرض العربية المحتلة في فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة)، وإن كان أقل من الجزء الذي جاء في قرار التقسيم الأممي سنة 1947 والمرفوض عربيا وصهيونيا، وأكد أنه لولا التدخل العربي لذهبت الأرض العربية

¹ - العارف، عارف، نكبة فلسطين...، المرجع السابق، ص 469.

² - للتوسع في حرب 1948، يُنظر:

- زريق، قسطنطين. معنى النكبة مجددا. ط 1. بيروت: دار العلم للملايين، 1967.

- العارف، عارف، نكبة فلسطين، المرجع السابق.

كلها لصالح الاحتلال الصهيوني، واعتبر الشاذلي - عموماً - أن هذه الحرب هي نصف انتصار ونصف هزيمة ولا يفوقها أهمية بالنسبة للعرب سوى حرب أكتوبر 1973¹.

5- عدم سماح مصر والأردن بقيام كيان أو حكم فلسطيني رسمي ومستقل بعد 1948

يدافع عن القضية : إلحاق غزة بمصر والضفة الغربية بالأردن

بعد هزيمة العرب في حرب 1948 ألحقت الدولة المصرية قطاع غزة بحكمها وعينت حاكماً مصرياً عليه، وفعلت الأردن الأمر ذاته فيما يخص الضفة الغربية. وقد أضرّ هذا القرار بمستقبل القضية الفلسطينية، حيث حال دون قيام كيان إداري وسياسي وعسكري فلسطيني مستقل يتولى أمر حكم وإدارة شؤون ما تبقى من فلسطين التاريخية، وفي الآن ذاته، يدير الصراع مع العدو الصهيوني².

6- قراءة في حرب 1956 (العدوان الثلاثي)

اتخذت كل من إسرائيل وبريطانيا وفرنسا من قرار الرئيس المصري جمال عبد الناصر، تأمين قناة السويس، ذريعة لشن عدوان على مصر، نجم عنه انتصار سياسي لنظام عبد الناصر رغم الهزيمة العسكرية للجيش المصري، بحكم أن العدوان لم ينجح في إزالة نظام حكم عبد الناصر، فضلاً عن انسحاب دول العدوان من المناطق التي احتلتها (سيناء وبورسعيد)، نتيجة تهديد الاتحاد السوفياتي بالتدخل لصالح مصر.

¹ - برنامج شاهد على العصر، الحلقة الأولى من شهادة الفريق سعد الدين الشاذلي، قناة الجزيرة، 6/2/1999، تم الولوج

بتاريخ: 2025/7/28، في: <https://www.youtube.com/watch?v=q0S6gkoRX7s>

² - للتوسع في هذا الموضوع، يُنظر: صايغ، يزيد. الكفاح المسلح والبحث عن الدولة: الحركة الوطنية الفلسطينية، 1949 - 1993. ترجمة باسم سرحان. ط 1. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2002.

لقد كان من أهم أسباب هذا العدوان، خصوصا فيما يتعلق بالجانب الإسرائيلي، رغبة هذا الأخير في توجيه ضربة عسكرية لأهم داعم عربي وإسلامي للقضية الفلسطينية آنذاك، وهي الدولة المصرية¹.

7- التورط المصري في حرب اليمن : 1962 - 1967

يعد تدخل الجيش المصري في اليمن لدعم الثورة اليمنية هناك ضد نظام الإمامة من أهم الأسباب التي أدت إلى هزيمة 1967، حيث استغلت إسرائيل وجود نصف الجيش المصري تقريبا باليمن لتشن حربها الخاطفة في يونيو 1967، ملحقة الهزيمة بثلاث دول دفعة واحدة (مصر - سوريا - الأردن).

8- قراءة في حرب يونيو 1967 وأخطائها الكارثية

نفذت إسرائيل صبيحة الخامس من يونيو سنة 1967 هجوما جويا على جميع المطارات المصرية والسورية تقريبا، دمرت جميع الطائرات وهي رابضة على الأرض، ثم قصف سلاح الطيران الإسرائيلي القوات العسكرية البرية المصرية والسورية من مشاة ودبابات وغيرها، ثم دفعت بقواتها البرية فاحتلت قطاع غزة والضفة الغربية، وهما القطعتان المتبقيتان من فلسطين، كما احتلت سيناء المصرية ومنطقة الجولان السورية.

استغرقت هذه الحرب ستة أيام، وتعد أكبر انتصار حققته إسرائيل على الدول العربية في تاريخ القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، وما زالت نتائجه وتداعياته السياسية والاستراتيجية ماثلة أمام المواطن العربي إلى يومنا هذا.

¹ - للتوسع في هذا الموضوع، يُنظر: دور مصر الإقليمي: تسوية الصراع العربي الإسرائيلي (كتاب جماعي). تحرير: عبد العليم محمد. القاهرة: مطبوعات مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 1997.

يمكن إجمال أهم أسباب هذه الهزيمة الساحقة كالآتي:

أ- النظام الاستبدادي والأمني الذي أرساه جمال عبد الناصر بمصر من خلال حكم الرجل الواحد وانشغال الدولة بملاحقة المعارضين سواء إسلاميين أو يساريين أو غيرهم وتقديم أهل الثقة والولاء على أهل الكفاءة في شغل المنصب القيادية وإدارة المؤسسات، فكانت الهزيمة نتيجة منطقية لهذه البنية السياسية القائمة.

ب- تنصيب رجل ضعيف الكفاءة على رأس المؤسسة العسكرية المصرية ونعني هنا رفيق عبد الناصر عبد الحكيم عامر وزير الدفاع القائد العام للقوات المسلحة المصرية والذي تمت ترقيته من رتبة رائد إلى رتبة لواء مرة واحدة متجاوزا خمس رتب عسكرية.

ت- التعامل باستخفاف مع التهديدات الإسرائيلية وضعف اليقظة الاستخبارية فيما يخص المخططات الصهيونية، مقابل الاختراق الاستخباري الإسرائيلي للأوضاع بمصر خصوصا من الناحية العسكرية والاستراتيجية.

ث- تورط نصف الجيش المصري في الحرب اليمنية.

ج- ضعف التنسيق العربي لمواجهة الأخطار الصهيونية.

ح- الانسحاب العشوائي والارتجالي الذي أمر به عبد الحكيم عامر من سيناء بعد تدمير المطارات والطائرات المصرية في الساعات الأولى من الحرب.

9- الصراع بين الفصائل الفلسطينية والملك حسين بالأردن

بعد هزيمة 1967 لجأت الفصائل الفلسطينية سواء حركة فتح أو غيرها - والمنضوية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية - إلى الأردن، لكن الأوضاع سرعان ما انقلبت إلى مواجهات عسكرية بينها وبين النظام

الأردني زمن الملك حسين فيما عرف بأحداث "أيلول الأسود" سنة 1970، حيث سعت القوات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية إلى الإطاحة بالنظام الملكي بالأردن بعد تعاضم نفوذها، وانتهت هذه المواجهات بانتصار الجانب الأردني وانتقال المقاومين الفلسطينيين إلى لبنان.

يمكن القول أن هذا الصراع الداخلي العربي - العربي قد ساهم في حرف بوصلة الكفاح والنضال وخدم بشكل أو بآخر المشروع الصهيوني بالمنطقة.

10- خروج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان إلى تونس سنة 1982 وأثره على

مستقبل المقاومة الفلسطينية

استغلت إسرائيل ضعف الوضع الداخلي بلبنان جراء الحرب الأهلية وانخراط منظمة التحرير الفلسطينية في هذه الحرب لغزو لبنان واحتلال عاصمتها بيروت، فاشتدّت إسرائيل لانسحابها من بيروت خروج جميع الفصائل الفلسطينية من البلاد وذلك ما كان فعلا حيث انتقلت منظمة التحرير الفلسطينية إلى تونس، وبذلك انتهى الكفاح الفلسطيني من خارج فلسطين بعد أن تم إبعاد الفصائل المقاومة إلى دولة عربية من غير دول الطوق.

11- الأنظمة العربية وأثرها على القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي

يعتبر الاستبداد أحد الأسباب البنيوية للقضية الفلسطينية، فتحرير فلسطين لن يتم إلا من خلال تحرير الدول العربية نفسها من الديكتاتوريات المستندة في استمرار حكمها إلى القبضة الأمنية والقوة العسكرية والتي عوض أن توجهها إلى عدو الأمة والدين توجهها لشعوبها.

لقد أثبتت هذه الأنظمة طيلة سبعين سنة فشلها الذريع في التعاطي مع القضية الفلسطينية واسترجاع الأرض المحتلة، بل إن هذه الأنظمة أصبحت في السنوات الأخيرة منخرطة بشكل أو بآخر في خدمة أهداف المشروع الصهيوني بالعالم العربي.

12- قراءة في حرب أكتوبر 1973

- ما قبل الحرب: بعد هزيمة 1967 قرر عبد الناصر إعادة بناء القوات المسلحة المصرية خصوصا بعد أن أصبحت سماء مصر مفتوحة للطيران الإسرائيلي¹، كما قرر إطلاق ما عُرف بـ"حرب الاستنزاف"، التي استمرت حوالي السنتين ونصف ثم توقفت بعد قبول عبد الناصر مبادرة روجرز.

بعد وفاة عبد الناصر استلم السلطة نائبه محمد أنور السادات، فتابع ما بدأه سلفه من بناء القوات المسلحة وتوفير السلاح من الاتحاد السوفياتي وإعداد الخطط العسكرية، هذه الأخيرة التي كانت محل خلاف بين القادة:

* هناك رأي تبني فكرة الانتظار حتى استكمال التسليح من أجل شن حرب شاملة لاسترجاع سيناء كاملة.

* هناك رأي ثان تبني فكرة شن حرب خاطفة في أقرب فرصة وبالإمكانيات العسكرية واللوجستية المتاحة

لاسترجاع جزء من سيناء (10 إلى 20 كلم شرق قناة السويس)، وهذا الرأي هو الذي تبنته القيادة

السياسية المصرية.

¹- لم يتوقف هذا الوضع إلا بعد تدخل الاتحاد السوفياتي من خلال إنشاء منصات الدفاع الجوي وتحديد على حدود قناة السويس.

مثلت حرب أكتوبر حالة نادرة من الإجماع العربي، حيث انخرطت فيها 11 دولة، فضلا عن الدولتين الرئيستين "مصر وسوريا"، شارك أيضا بإرسال قوات برية أو جوية أو مساهمة اقتصادية كل من العراق والكويت والأردن وتونس والجزائر والمغرب واليمن والسعودية والسودان والإمارات العربية المتحدة.

- إدارة الحرب وأخطاؤها الكارثية:

في يوم 6 أكتوبر 1973 شنت كل من مصر وسوريا هجوما على الجبهة الإسرائيلية، فتمكنت مصر خلال الأيام الأولى من تحقيق ما سطرته من أهداف، وتحديدا عبور قناة السويس وتحطيم خط بار ليف واسترجاع شريط ترابي من سيناء يتراوح عرضه ما بين 10 و20 كلم شرق قناة السويس، كما تمكنت سوريا من استرجاع مدينة القنيطرة. غير أن هناك أخطاء قاتلة أرتكبت خصوصا في الأسبوع الثاني والثالث من الحرب، وفيما يأتي أبرزها:

*** تدخل السادات وتهميش رأي القادة المحترفين:** بناء على قرار الرئيس السادات نفذ الجيش المصري ما سُمي بـ "تطوير الهجوم" حيث تم الدفع بقوات عسكرية برية خارج الشريط الترابي الذي استرجعته مصر والذي كان محميا بمنصات الدفاع الجوي، فاستغلت إسرائيل الخطأ العسكري والاستراتيجي الفادح بخروج هذه القوات خارج مظلة الدفاع الجوي، فدمرت في يوم واحد فقط 250 دبابة مصرية وانتقلت بذلك المبادرة العسكرية إلى الجانب الصهيوني.

لاقى قرار السادات قبل الشروع في تنفيذه معارضة شديدة من قبل الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس الأركان وواضع خطة السادس من أكتوبر، وذلك لعلمه بآثارها المدمرة على الجيش المصري وعلى ما حققه من إنجازات ومكتسبات عسكرية وترابية وسياسية في الأيام الأولى من الحرب.

* **معركة الدفرزوار (الثغرة):** بعد الخطأ العسكري المذكور وما ترتب عنه، قامت إسرائيل باختراق الجبهة المصرية عن طريق نقطة تسمى الدفرزوار، وتمكنت من نقل جزء من قواتها غرب قناة السويس وتدمير منصات الدفاع الجوي المصرية.

* **حصار الجيش الثالث:** بعد تدمير الدفاع الجوي المصري انتشرت القوات المصرية على شريط غرب القناة، واستطاعت بذلك محاصرة الجيش الثالث الذي كان قوامه 45 ألف مقاتل من الأمام ومن الخلف.

* **عدم الأخذ بخطة الشاذلي للقضاء على الثغرة:** أثناء نقل إسرائيل لجزء من قواتها إلى غرب القنال اقترح الشاذلي سحب جزء من القوات المرابطة شرق القنال إلى الغرب (وتحديدا من النسق الثاني غير المشتبك مع العدو وهو ما لن يؤثر على تماسك الجبهة المصرية هناك)، وذلك من أجل تنظيم هجوم مضاد مفاجئ من أجل رد القوات الصهيونية للشرق، لكن السادات رفض هذه الفكرة، وفي نظرنا لو تم تنفيذ خطة الشاذلي هذه لانقلبت الأمور مجددا لصالح الجانب المصري والعربي ولأحدث ذلك اختراقا نفسيا وعسكريا وسياسيا كبيرا في الجانب الصهيوني¹.

* **ما بعد الحرب:** تم وقف إطلاق النار يوم 24 أكتوبر على الوضع الذي بيناه سابقا من حصار للجيش الثالث الذي كانت قواته منتشرة على الشريط الشرقي لقناة السويس، وبذلك يمكن اعتبار حرب أكتوبر في

¹ - للتوسع في هذا الموضوع وفي حرب أكتوبر 1973، يُنظر:

- الشاذلي، سعد الدين. مذكرات حرب أكتوبر. ط 4. سان فرانسيسكو: دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، 2003.
- برنامج شاهد على العصر، الحلقة الثامنة من شهادة الفريق سعد الدين الشاذلي، قناة الجزيرة، تم الولوج بتاريخ: 2025/7/28،
في: <https://www.youtube.com/watch?v=SQevGwbq0og&list=PLJyrzEL-wvYIm2mHzmxkiXgPE947wftvF&index=8>

- برنامج شاهد على العصر، الحلقة التاسعة من شهادة الفريق سعد الدين الشاذلي، قناة الجزيرة، تم الولوج بتاريخ: 2025/7/28،
في: https://www.youtube.com/watch?v=XpXCY_ZJ5OY&list=PLJyrzEL-wvYIm2mHzmxkiXgPE947wftvF&index=9

- الجسمي، عبد الغني. حرب أكتوبر 1973 (مذكرات الجسمي). ط 2. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
- الكيلاني، هيثم. الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

محصلتها النهائية بالنسبة للجانب المصري نصف انتصار ونصف هزيمة، ولم يتم فك الحصار عن الجيش الثالث إلا بعد مباحثات "الكيلو 101" حيث ابتزت إسرائيل الجانب المصري بمجموعة من المطالب التي رضخ لها لفك هذا الحصار.

أما على الجبهة السورية، فإن إسرائيل استطاعت رد الهجوم السوري، بل إن العاصمة السورية دمشق نفسها أصبحت مهددة بعد أن أصبحت القوات الإسرائيلية على مسافة 30 كلم منها.

* **عدم ترك فرصة كافية للاستفادة من سلاح البترول:** لم يستفد العرب من قطع دول الخليج صادراتها من البترول للدول الغربية الداعمة لإسرائيل، لأن الحرب لم تطل حتى تظهر نتائج هذا الحظر، وهذا ما عبّر عنه الفريق الشاذلي حين ارتأى الاكتفاء بالشريط الترابي الممتد شرق القناة والمرابطة فيه والاحتماء بمظلة الدفاع الجوي وانتظار رد الفعل الصهيوني والذي ليس أمامه إلا خيارين، الأول أن يتقدم ويهاجم من أمام، وحينها سيحدث فيه الجانب المصري خسائر مباشرة، أو الانتظار، وحينها تظهر آثار الحصار الاقتصادي للبترول¹.

13- المراهنة على السلام خيارا استراتيجيا من طرف الأنظمة العربية

أ- السادات وكامب ديفيد والمراهنة على الوسيط الأمريكي: بعد حرب أكتوبر وعدم الحسم في استرجاع سيناء بالقوة العسكرية، اختار السادات التفاوض مع الجانب الإسرائيلي، فالتقى الوفدان في كامب ديفيد بوساطة أمريكية - لم تكن محايدة طبعا - وانتهى الأمر باتفاقية كامب ديفيد سنة 1978 التي تلاها توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية سنة 1979 بواشنطن بوساطة وحضور الرئيس الأمريكي جيمي كارتر².

¹- يُنظر: الشاذلي، سعد الدين. مذكرات حرب أكتوبر. المرجع السابق.

²- يُنظر نص هذه المعاهدة في: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل (واشنطن، 1979/3/26)، تم الولوج بتاريخ: 2025/7/24، في: https://oldwebsite.palestine-studies.org/sites/default/files/Treaty_of_peace_between_egypt.pdf

اعترفت مصر في معاهدة السلام بدولة إسرائيل وأنهت معها حالة الحرب وفتحت علاقات دبلوماسية رسمية معها مقابل استعادة مصر لشبه جزيرة سيناء على أن تكون منزوعة السلاح تقريبا، وتم تقسيمها لثلاث مناطق (أ- ب - ج)، حيث لا يوجد بالمنطقة ج المحاذاة لإسرائيل سوى قوات أمن بأسلحة خفيفة ثم قوات عسكرية خفيفة بالمنطقة ب البعيدة عن الحدود ثم يرتفع مستوى التسلح وعدد القوات نسبيا بالمنطقة أ وهي أبعد منطقة بسيناء عن الحدود مع الكيان الصهيوني¹.

لقد تمكنت إسرائيل من خلال إبرام اتفاقية السلام من تحييد أهم خصم لها في الصراع العربي الإسرائيلي أولا وهو مصر، لتتفرغ لباقي الأطراف وعلى رأسهم الفلسطينيون، ولم تدفع في ذلك أي قطعة من أرض فلسطين، بل أعادت لمصر سيناء فقط والتي كانت أصلا جزءا من التراب المصري.

ب- ياسر عرفات وأوسلو "التخلي عن المقاومة المسلحة والانخراط في مسلسل المفاوضات": بعد سنوات من الكفاح المسلح اختار ياسر عرفات الدخول في مسار التفاوض مع إسرائيل والذي انتهى بتوقيع اتفاقية أوسلو الأولى سنة 1993 واتفاقية أوسلو الثانية سنة 1995، واعترفت من خلالهما منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل وبحقها في الوجود على ما احتلته من فلسطين حتى الرابع من يونيو سنة 1967 وبالتخلي النهائي

¹ - للتوسع في هذا الموضوع، يُنظر:

- العطار، إبراهيم حسن. مصر والقضية الفلسطينية في كامب ديفيد. القاهرة: دار الاتحاد للطباعة، 2006.
- كامل، محمد إبراهيم. السلام الضائع في اتفاقيات كامب ديفيد (مذكرات محمد إبراهيم كامل وزير خارجية مصر الأسبق). ط 1. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 2002.
- طهوب، فؤاد. حتمية الحرب وسراية السلام. المؤسسة العربية، 1979.
- عبد السلام، جعفر وداود، محمود السيد حسن. الصراع العربي الإسرائيلي بين النضال المسلح والتسوية. رابطة الجامعات الإسلامية، 2006.
- فهمي، إسماعيل. التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1985.
- Herzog, Chaim. The Arab-Israeli Wars: War & Peace in the Middle East. New York & London: Random House, 1982.

عن المقاومة المسلحة، ومقابل ذلك؛ اعترفت إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، وترتب عن الاتفاقيتين تأسيس سلطة وطنية فلسطينية برئاسة ياسر عرفات منحته إسرائيل الحكم الذاتي على الضفة الغربية وقطاع غزة¹.

يلاحظ من خلال هذا الاتفاق مدى المكاسب الدبلوماسية والسياسية والاستراتيجية الملموسة التي حققتها إسرائيل مقابل تنازلات شكلية للجانب الفلسطيني سرعان ما انقلبت عليها لاحقاً، حيث أعاد الكيان الصهيوني احتلال ما أعطاه للسلطة الفلسطينية (الضفة الغربية وغزة) وذلك سنة 2000، بل ومحاصرة عرفات بمرام الله حتى تم اغتياله بالسم سنة 2004.

14- مراهنة الأنظمة العربية على التطبيع والاختراق الصهيوني للدول العربية

منذ توقيع اتفاقية كامب ديفيد سنة 1978 بين مصر وإسرائيل ثم اتفاقيات أوسلو بدأ مسلسل التطبيع بين الأنظمة العربية والكيان الصهيوني، فوقعت الأردن - بعد ذلك - اتفاقية سلام (اتفاقية وادي عربة) سنة 1994، حيث اعترفت بالكيان الصهيوني دون أي مقابل سياسي أو ترابي أو دبلوماسي لصالحها أو لصالح

¹ - للتوسع في هذا الموضوع، يُنظر:

- أبو فخر، صقر. "الحركة الوطنية الفلسطينية: من النضال المسلح إلى دولة منزوعة السلاح". بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003.
- أبو نضال، نزيه. تاريخية الأزمة في فتح: من التأسيس إلى الانتفاضة. دون مكان: دون ناشر، 1984.
- الحمد، جواد. عملية السلام في الشرق الأوسط: وتطبيقاتها على المسارين الفلسطيني والأردني. عمان (الأردن): مركز دراسات الشرق الأوسط.
- سعيد، إدوارد. أوسلو 2: سلام بلا أرض. القاهرة: دار المستقبل العربي، 1995.
- شفيق، منير. اتفاق أوسلو وتداعياته. منشورات فلسطين المسلمة، د.ت.
- هلال، جميل. "النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو: دراسة تحليلية نقدية". بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية؛ رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 1998.
- الهور، منير والعيسى، طارق، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947-1985، ط2. عمان: دار الجليل، 1986.

القضية الفلسطينية، وفي عام 2020 التحقت مجموعة من الدول العربية بقطار التطبيع، فوُجعت كل من المغرب والإمارات العربية المتحدة والبحرين معاهدات سلام مجانية دون أي مكاسب تذكر سواء للقضية الفلسطينية أو حتى للقضايا الوطنية الداخلية لهذه الدول المطبّعة، رغم ما يقال عن خدمة هذه الاتفاقية لقضية الصحراء في الحالة المغربية مثلا، بل إن العدو الصهيوني استغل هذه المعاهدات وهذا القبول العربي الرسمي الذي وقر له غطاء شرعيا عربيا رسميا فزاد من تعوّله وتعديّه على حقوق الشعب الفلسطيني سواء بالتوسع في مخططات الاستيطان أو حرب الإبادة الجماعية الأخيرة التي شنها على قطاع غزة منذ أكتوبر سنة 2023، أو غير ذلك من الممارسات التي يستهدف من خلالها إنهاء وتصفية القضية الفلسطينية تماما. والأكثر من ذلك؛ أن إسرائيل تستغل اتفاقيات السلام هذه لاختراق الدول العربية استخباراتيا وأمنيا واصطناع طبقة سياسية ونخبة مثقفة موالية لها.

15- هل ينبغي أن تكون مواجهة العرب والمسلمين للصهيونية مواجهة عسكرية فقط أم

مواجهة أشمل: تنمية وحضارية..؟

لا شك أن خيار التطبيع وموالاته الكيان الصهيوني على حساب الحقوق الإسلامية والعربية والفلسطينية قد ثبت فشله الذريع واتضح آثاره الكارثية على واقع القضية الفلسطينية، لذا؛ فإن الخيار الاستراتيجي الذي ينبغي أن يراهن عليه العالم الإسلامي والعربي هو حشد الطاقات وتوفير الأسباب لمواجهة الكيان الصهيوني وداعميه، ولن يتأتى ذلك بالتسلح أو بإعداد القدرات العسكرية فقط، بل إن المواجهة، والتي نراها "حتمية تاريخية"، لا بد أن تتخذ أبعادا تنموية وحضارية واقتصادية وثقافية اجتماعية. ومن أجل ذلك؛ لا بد أن تتحرر

الأوطان العربية والإسلامية من قيود الاستبداد والتخلف وتبعية القرار، فتحرير القدس لن يتحقق إلا بتحرير العواصم العربية والإسلامية أولاً¹.

16- تأملات في الدور المصري: من المركزية إلى الهامشية ثم إلى التبعية والتوظيف من

قبل العدو الصهيوني

لقد كان الدور المصري مركزياً في دعم القضية الفلسطينية واحتضانها والتضحية من أجلها وذلك منذ زمن الملك فاروق (1936 – 1952)، الذي اتخذ قرار الدخول في حرب 1948، ومروراً بالفترة الناصرية (1952 – 1970) وما عرفتها من عدوان على مصر سنة 1956 وهزيمة سنة 1967، وانتهاء بعهد السادات (1970 – 1981)، حيث خاضت مصر حرب أكتوبر 1973، لكن منذ عهد الرئيس محمد حسني مبارك بدأ الدور المصري يفقد أهميته وتأثيره، إلى أن أصبح القرار المصري تابعا للإرادة الصهيونية²، ومن أمثلة ذلك؛ أن مصر في عهد مبارك، لاسيما في السنوات الأخيرة من حكمه، كانت تشارك مع إسرائيل في حصار غزة بعدم فتحها معبر رفح إلا في أضيق الحدود وبعد ضغوط شعبية داخلية وإكراهات عربية خارجية، مع غض الطرف من قبل السلطات المصرية على حركة نقل السلع ومختلف المواد إلى قطاع غزة عبر الأنفاق. بعد الثورة المصرية سنة 2011 ووصول الرئيس الراحل محمد مرسي للحكم سنة 2012، حاول هذا الأخير إعادة بعض الزخم للدور المصري واستعادة استقلاليتها، لكن حدوث الانقلاب سنة 2013 على نظام حكمه

¹ - من الشواهد التاريخية المؤكدة لهذه الفكرة أن السلطان صلاح الدين الأيوبي حكم 20 سنة، 15 منها قضاها في صراع داخلي مع أمراء وحكام كان همهم الأول الحفاظ على عروشهم ولو بالتحالف مع الصليبيين، أما الخمس سنوات الأخرى فهي التي حارب فيها الصليبيين واستعاد خلالها القدس وغيرها من مدن ومناطق بالشام.

² - للاطلاع على تاريخية الدور المصري، يُنظر: دور مصر الإقليمي: تسوية الصراع العربي الإسرائيلي (مؤلف جماعي)، تحرير: عبد العليم محمد، مطبوعات مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 1997.

أعاد الأمور لما هو أسوء من زمن مبارك، حيث تحول الدور المصري خلال عهد عبد الفتاح السيسي من مستوى التبعية إلى مستوى التوظيف من قبل الكيان الصهيوني، ومن شواهد ذلك:

- ردم الأنفاق والإغلاق شبه الدائم لمعبر رفح ومشاركة النظام المصري في إحكام الحصار على قطاع غزة أثناء حرب الإبادة التي تشنها إسرائيل على أهل غزة منذ أكتوبر 2023.

- تضيق السلطات المصرية على أي حركة تضامن شعبية مصرية أو عربية مع الفلسطينيين، بل وقيامها باضطهاد واعتقال بعض النشطاء المشاركين فيها (قافلة الصمود مثلا).

- التقارب الشديد في المواقف السياسية بين الجانبين المصري والإسرائيلي، ومن أمثلة ذلك أن السيسي اقترح على إسرائيل إخراج المدنيين من أهل غزة إلى صحراء النقب حتى تنتهي من مهمتها المعلنة لتصفية حركة حماس ثم إعادة الغزيين إلى القطاع.

- هجوم الإعلام المصري الرسمي على حركة حماس، وتبني خطاب فُطري يتحلل من أي واجبات أو التزامات سياسية أو دينية أو قومية أو أخلاقية أو حتى إنسانية تجاه القضية الفلسطينية.

17- الانقسام الفلسطيني وتداعياته

شهد قطاع غزة في يونيو 2007 اشتباكات عسكرية بين حركتي حماس وفتح، نجم عنها استقلال حماس بحكم غزة، وهو خلق وضعاً من الانقسام الفلسطيني بين الضفة الغربية المحكومة من طرف السلطة الوطنية الفلسطينية وحركة فتح وغزة التي أصبحت تحت إدارة حماس. وفي اعتقادنا؛ فإن الانقسام الفلسطيني الحقيقي والأعمق هو ذلك الانقسام في البرنامج السياسي والأهداف الاستراتيجية والوطنية من النضال وكذا الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه الأهداف، فضلا عن اختلاف المرجعية الفكرية والإيديولوجية المؤسسة، ويمكن إيجاز ذلك في النقاط الآتية:

- استناد حركة حماس لمرجعية دينية إسلامية، فهي في الأصل فرع لحركة الإخوان المسلمين بفلسطين، في حين تتشكل مرجعية فتح ومنظمة التحرير من خليط من الأفكار الليبرالية والقومية واليسارية.

- سطرت حماس منذ تأسيسها في ثمانينات القرن الماضي أن هدفها هو تحرير كامل فلسطين من البحر إلى النهر، وأن فلسطين أرض وقف إسلامي مقدس لا حق لليهود الصهاينة في شبر منها، في حين أن فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية الفلسطينية التي تأسست من رحمها اعترفت بدولة إسرائيل وبحقها في الوجود، ولا تطالب إلا بحدود الرابع من يونيو 1967، أي ما نسبته 22% من فلسطين التاريخية (الضفة الغربية بما في ذلك القدس الشرقية + قطاع غزة).

- تتبنى حركة حماس منذ تأسيسها الكفاح المسلح وسيلة لمقاومة واقع الاحتلال الصهيوني وتحرير الأرض، أما منظمة التحرير الفلسطينية بما في ذلك حركة فتح - وهي أهم مكون فيها - فقد تخلت عن هذا الكفاح بشكل شبه كامل منذ التسعينات.

استغل الكيان الصهيوني حالة الانقسام في الجبهة الداخلية الفلسطينية ليشن عددا من الحروب المتتالية على قطاع غزة (2008 - 2009، 2012، 2014، 2023 - 2025)، ويزيد من وتيرة الاستيطان بالضفة الغربية ويصادر حق الفلسطينيين في القدس¹ وفي عودة اللاجئين بل ويرفع هدفا جديدا له وهو تهجير الفلسطينيين من قطاع غزة إلى دول أخرى.

18- طوفان الأقصى

بسبب الحصار والتجويع الممنهج الذي فرضته إسرائيل على قطاع غزة منذ سنة 2007 بعد سيطرة حماس على غزة، نفّذت هذه الحركة يوم 7 أكتوبر 2023 عملية عسكرية تاريخية (طوفان الأقصى) تجاه الكيان

¹ - اعترف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب سنة 2017 وبشكل رسمي بالقدس عاصمة لدولة إسرائيل.

الصهيوني سواء من حيث عدد القتلى في القوات الإسرائيلية أو عدد الأسرى أو العتاد الذي تم تدميره، إلى درجة أن هذه العملية لا يفوقها أهمية وخطورة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي إلا حرب أكتوبر 1973. بدأت عملية طوفان الأقصى عبر إطلاق المقاومة هجوما واسع النطاق بوابل من الصواريخ بلغ عددها 4300 صاروخ على الأقل صوب مختلف المستوطنات الإسرائيلية من ديمونا في الجنوب إلى هود هشارون في الشمال والقدس في الشرق، وتزامن مع ذلك اقتحام بري من المقاومين عبر السيارات رباعية الدفع والدراجات النارية والطائرات الشراعية وغيرها للبلدات المتاخمة للقطاع، والتي تُعرف باسم غلاف غزة، حيث سيطروا على عدد من المواقع العسكرية خاصة في سديروت، ووصلوا أوفاكيم، وبتيفوت، وخاضوا اشتباكات عنيفة في المستوطنات الثلاث، وفي مستوطنات أخرى، كما أسروا عددا من الجنود والمدنيين واقتادوهم لغزة، فضلا عن اغتنام مجموعة من الآليات العسكرية الإسرائيلية.

في 9 أكتوبر، أعلن جيش الاحتلال الإسرائيلي استعادته السيطرة على جميع البلدات التي استولت عليها فصائل المقاومة الفلسطينية في غلاف قطاع غزة مع استمرار بعض المناوشات المتفرقة، وأعلن وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت بدء ما أسماه حصارا شاملا على غزة، بما في ذلك حظر دخول الغذاء والوقود.

استغلت إسرائيل هذه العملية لتشنّ حرب إبادة على قطاع غزة بلغ عدد شهدائها من الفلسطينيين أكثر من 61 ألف إلى حدود غشت 2025 ومئات الآلاف من الجرحى، فانتهز بعض متصهينة العرب من المحسوبين على فئة المتقنين إضافة إلى مجموعة من الأبواق الإعلامية الرسمية هذا الأمر لمهاجمة حركة حماس وتحميلها كامل المسؤولية على ما حدث لأهل غزة، لكن هؤلاء غاب عنهم الاعتبارات الآتية:

- * كانت القضية الفلسطينية في طريق التصفية والانهاء لولا عملية 7 أكتوبر التي أعادت هذه القضية للواجهة وأجبت التعاطف العربي والإسلامي معها، وأخرجت صهاينة العرب وفضحت الأنظمة العربية التي طبّعت مع عدو الأمة والدين، وأعادت تصحيح بوصلة النضال والكفاح.
- * كان توجيه ضربة عسكرية للكيان الصهيوني أمرا ضروريا لإعادة إحياء القضية الفلسطينية ومن أجل وضع حد لحالة الحصار والموت البطيء الذي يعيشه القطاع منذ سنين، وإقناع إسرائيل أن الفلسطيني موجود وأنه لن يفرط في حقوقه التاريخية والشرعية في أرضه التي أرادت إسرائيل هضمها مستعينة في ذلك بصمت - إن لم نقل مباركة - دول عربية وغربية رسمية.
- * لقد غاب عن صهاينة العرب أن أي حركة تحرر وطني بذلت من التضحيات والخسائر البشرية والمادية ما يفوق أضعاف ما تكبده المحتلّ، فالمعادلة هنا لا تقاس بمقاربة عددية كمية، إنما تقاس بالقدرة على الصمود وإلحاق ألم وضرر بالعدو لا يستطيع تحمّله.

19- الاستراتيجيات والبدائل الممكنة

- من خلال القضايا والنقط التي تم تناولها سالفًا في هذا البحث، يمكن اقتراح الاستراتيجيات والبدائل الآتية:
- التنسيق بين هيئات ومؤسسات المجتمع المدني والشخصيات المشهود لها بالوطنية والمعروفة بالقدرة على التأثير والتعبئة الجماهيرية وغيرها لخلق حركة تضامن شعبية عربية وإسلامية بل وعالمية دعما للقضية الفلسطينية، تكون لها قيادة محددة ومؤسسات وآليات عمل وفروع في جميع أنحاء العالم، تعمل لتحقيق الأهداف الآتية:

- * دعم الفلسطينيين اقتصاديا وماليا من أجل استمرار صمودهم.
- * قيادة حملات المقاطعة للكيان الصهيوني.

- * الدفع نحو التجريم القانوني للتطبيع مع إسرائيل مهما كانت مبرراته باعتباره موالاة ومظاهرة لعدو الله والأمة على حساب إخواننا في الإنسانية والدين واللغة والتاريخ..
- * فضح جرائم التطبيع مع الكيان الصهيوني.
- * الضغط الشعبي على الأنظمة المطبّعة لإلغاء جميع اتفاقيات ومعاهدات السلام المبرمة مع إسرائيل.
- * توحيد الجبهة الداخلية الفلسطينية، رغم التعارض الواضح في المرجعية والأهداف والوسائل بين حركتي فتح وحماس، وذلك بتدخل الشخصيات الوطنية المستقلة والتي تحظى باحترام الطرفين معا، مثل المناضل الفلسطيني مصطفى البرغوثي، مع فتح الباب لوساطات عربية وإسلامية إن أمكن، ومحاولة صياغة وثيقة مرجعية تكون إطارا جامعا للكفاح الوطني الفلسطيني.
- * تحرك الشعوب العربية والإسلامية لتغيير أنظمتها الحاكمة التي فرّطت في القضية الفلسطينية بواقع سياسي ثوري داعم لهذه القضية.
- * الدفع وراء خلق نهضة عربية وإسلامية من خلال تكريس الاعتماد على الذات سواء في التسلح أو في الحاجيات الاقتصادية والعلمية الأخرى، لأن أي مواجهة مرتقبة مع العدو الصهيوني قد تفرض مواجهة داعميه أيضا.

خاتمة

وتأسيساً على ما سبق، يمكن الخروج بالخلاصات الآتية:

* ارتبطت الأخطاء التاريخية المرتكبة في تاريخ القضية الفلسطينية وتدبير الصراع العربي الصهيوني ببنية عربية قائمة تحضر فيها مجموعة من العناصر، من بينها القيادات والأنظمة الحاكمة والنخب المثقفة والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والحضارية للشعوب والتوازنات والعلاقات الدولية وما لها من تأثير... ولا يمكن أن ننسب هذه الأخطاء إلى عنصر دون استحضار العناصر الأخرى.

* لا تزال هناك إمكانية للاستدراك على الأخطاء التاريخية التي ارتكبت في مسار القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، إذا ما أدرك العرب والمسلمون هذه الأخطاء، وبنوا استراتيجيات وبدائل تقوم على تلافى الأخطاء المذكورة، واستحضار التجارب الناجحة - على قلتها - في مسار هذه القضية.

المراجع

- أبو فخر، صقر. "الحركة الوطنية الفلسطينية: من النضال المسلح إلى دولة منزوعة السلاح". بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003.
- أبو نضال، نزيه. تاريخية الأزمة في فتح: من التأسيس إلى الانتفاضة. دون مكان: دون ناشر، 1984.
- البديري، هند أمين، أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، مطابع الجامعة العربية، القاهرة، د. ت.
- برنامج شاهد على العصر، الحلقة الأولى من شهادة الفريق سعد الدين الشاذلي، قناة الجزيرة، 1999/2/6،
تم الولوج بتاريخ: 2025/7/28، في: <https://www.youtube.com/watch?v=q0S6gkoRX7s>
- برنامج شاهد على العصر، الحلقة الثامنة من شهادة الفريق سعد الدين الشاذلي، قناة الجزيرة، تم الولوج بتاريخ: 2025/7/28، في: <https://www.youtube.com/watch?v=SQevGwbq0og&list=PLJyrzEL-wvYIm2mHzmxkiXgPE947wftvF&index=8>
- برنامج شاهد على العصر، الحلقة التاسعة من شهادة الفريق سعد الدين الشاذلي، قناة الجزيرة، تم الولوج بتاريخ: 2025/7/28، في: https://www.youtube.com/watch?v=XpXCY_ZJ5OY&list=PLJyrzEL-wvYIm2mHzmxkiXgPE947wftvF&index=9
- الجسمي، عبد الغني. حرب أكتوبر 1973 (مذكرات الجسمي). ط 2. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
- حافظ، أبو الحجاج، البطل أحمد عبد العزيز، ملحمة للبطولة من الطفولة، 2006.

- حرب فلسطين 1947-1948 (الرواية الإسرائيلية الرسمية). ترجمة أحمد خليفة. قبرص: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984.

- حلاق، حسان. موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909، ط2. بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1980.

- الحمد، جواد. عملية السلام في الشرق الأوسط: وتطبيقاتها على المسارين الفلسطيني والأردني. عمان (الأردن): مركز دراسات الشرق الأوسط.

- دور مصر الإقليمي: تسوية الصراع العربي الإسرائيلي (كتاب جماعي)، تحرير: عبد العليم محمد، مطبوعات مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 1997.

- الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون، Palestine in Arabic، تم الولوج بتاريخ 2025/07/27، في:

http://www.palestineinarabic.com/Docs/lett_talks/Sherief_Hussien_Sir_Henry_McMahon_Letters_A.pdf

- زريق، قسطنطين. معنى النكبة مجددا. ط 1. بيروت: دار العلم للملايين، 1967.

- سعيد، إدوارد. أوصلو 2: سلام بلا أرض. القاهرة: دار المستقبل العربي، 1995.

- الشاذلي، سعد الدين. مذكرات حرب أكتوبر. ط 4. سان فرانسيسكو: دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، 2003.

- شفيق، منير. اتفاق أوصلو وتداعياته. منشورات فلسطين المسلمة، د.ت.

- صايغ، يزيد. الكفاح المسلح والبحث عن الدولة: الحركة الوطنية الفلسطينية، 1949 - 1993. ترجمة باسم سرحان. ط 1. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2002.

- الصلابي، علي. جهود السلطان عبد الحميد في التصدي للحركة الصهيونية. موقع الجزيرة نت، 2021/5/23، شوهده في 2025/03/11، في:

<https://www.aljazeera.net/blogs/2021/5/23/%D8%AC%D9%87%D9%88%D8%A>

[F-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%B7%D8%A7%D9%86-](https://www.aljazeera.net/blogs/2021/5/23/%D8%AC%D9%87%D9%88%D8%A)

[-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-](https://www.aljazeera.net/blogs/2021/5/23/%D8%AC%D9%87%D9%88%D8%A)

[-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D9%8A%D8%AF-%D9%81%D9%8A-](https://www.aljazeera.net/blogs/2021/5/23/%D8%AC%D9%87%D9%88%D8%A)

[-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D8%AF%D9%8A](https://www.aljazeera.net/blogs/2021/5/23/%D8%AC%D9%87%D9%88%D8%A)

- طهوب، فؤاد. حتمية الحرب وسرابية السلام. المؤسسة العربية، 1979.

- العارف، عارف، نكبة فلسطين والفردوس المفقود: 1947 - 1952، الجزء الأول، دار الهدى، 1973.

- عبد السلام، جعفر وداود، محمود السيد حسن. الصراع العربي الإسرائيلي بين النضال المسلح والتسوية. رابطة الجامعات الإسلامية، 2006.

- العطار، إبراهيم حسن. مصر والقضية الفلسطينية في كامب ديفيد. القاهرة: دار الاتحاد للطباعة، 2006.

- فهمي، إسماعيل. التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1985.

- كامل، محمد إبراهيم. السلام الضائع في اتفاقيات كامب ديفيد (منكرات محمد إبراهيم كامل وزير خارجية مصر الأسبق). ط 1. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 2002.

- الكيالي، عبد الوهاب. تاريخ فلسطين الحديث. ط 10. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990.

- الكيلاني، هيثم. الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

- مؤسسة الدراسات الفلسطينية، معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل (واشنطن، 1979/3/26)، تم الولوج بتاريخ: 2025/7/24، في: https://oldwebsite.palestine-studies.org/sites/default/files/Treaty_of_peace_between_egypt.pdf

- هلال، جميل. "النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو: دراسة تحليلية نقدية". بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية؛ رام الله: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 1998.

- الهور، منير والعيسی، طارق، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947-1985، ط2. عمان: دار الجليل، 1986 .

- Herzog, Chaim. The Arab-Israeli Wars: War & Peace in the Middle East. New York & London: Random House, 1982.